

## ولتستمر أسطورة البطولة

بقلم/ الياس بجاني

### مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

إن مأساة لبنان الحالية توجّس حدوثها الكثيرُ من القيادات الوطنية قبل سنين. كما أن بعضهم، ومن موقع المسؤولية، حاول منعها والتصدي لها بكافة الوسائل المتوفرة سياسياً وعسكرياً. من محطات التصدي هذه كانت محطة ١٤ آذار ١٩٨٩. في ذلك اليوم خاض الجيش اللبناني البطل محاطاً بالشعب حربَ التحرير بشجاعة وفروسية وعقلانية رافضاً الذل والهوان.

اليوم، في الذكرى السنوية لتلك المحطة الوطنية الريادية، يمكننا القول وبراحة ضمير: إن حرب التحرير حيّة ترزق في ضمير ووجدان الشعب الذي تأكّد من أن ما طبّخ له من أطباق ترياق عربية ودولية منذ العام ١٩٩٠ كانت أطباقاً مُسمّمةً بالحيل الداهية الملبّسة بالأكاذيب البراقة وبوعودها الوهمية.

حرب التحرير تلك كانت رسالةً من أحرارنا للعالم كتبت بدماء شهدائنا لنقول: إن لبنان لا يزال حياً، لن يموت، وسينبعث كطائر الفينيق، وهو أكبر وأقوى من كل المحتلين من مدعى الأخوة وغيرهم مهما عظم بطشهم وجبروتهم. حرب التحرير كانت رسالة لمن توهموا أن بإمكانهم استعباد وطن الأرز وتركيع أهله. لقد برهن أهلنا في الوطن المحتل أنهم أقوى من كافة محاولات القهر والكتب والاضطهاد والاتهامات الباطلة والتهجير والإفقار التي يتولاها طاقم محلي من الواجهات السياسية والدينية والمافياوية باعوا أنفسهم للشيطان مرتضين دور العبيد والصنوج. لقد كانت محطة ١٤ آذار محاولة شجاعة من شعب عظيم للمقاومة والتصدي للاحتلال ورموزه، وثورة مُحقة على الظلم والتبعية.

لقد أحدثت حرب التحرير تغيراتٍ عميقة وجذرية في وعي الشعب ومفاهيمه ورؤياه، وأسقطت كل الأقنعة عن الوجوه المزيفة وفضحت الشعارات الكاذبة التي كان يختبئ وراءها دعاة الديمقراطية من إقليميين ودوليين. لقد أثبتت أن اللبنانيين مقاومين أشداء، كما زادت من تعلقهم بالحرية، وهم باتوا يمجّون المساومات الرخيصة، ويرفضون تقبل الواقع الإحتلالي المفروض على وطنهم. إن حرب التحرير حررت الشعب اللبناني من التقليد وجعلته يعي المؤامرة التي كلن هو موضوعها ولا يزال.

إن الحروب التي أشعلت قوى الشر نيرانها في وطننا على مرّ تاريخنا الحديث لضرب نموذجنا الحضاري اللبناني الفريد، ما زالت متواصلةً ولو بأشكال مختلفة. ورغم مرور ما يقارب الـ ٣٠ سنة على بدء المؤامرة الأخيرة، فإن فصولها التأميرية والخيانية لم تنته بعد، وهي تزداد بشاعة يوماً بعد يوم، في حين أن معاناة شعبنا الحياتية والمعيشية في ظل هيمنة الاحتلال السوري الكاملة على مقدرات الحكم والأرض مستمرة وتزداد ضراوة.

حدثونا عن السلام الأهلي، وها نحن في حال القهر الأهلي من جراء إرهاب أمنٍ مزعومٍ مُحاكٍ بسلاسل الإحتلالات المتوازنة في تحكّمها بمصيرنا. حدثونا عن العدل فإذا أحرارنا في المقلبر أو في المهاجر أو في غياهب السجون. حدثونا عن البحوحة والرخاء الاقتصاديين، فإذا ببلبناننا يصبح وبفضل عمالتهم، من الدول المرهونٍ مستقبل أجيالها بالديون الخارجية، فيما الشعب يُئن من الحرمان والبطالة والعوز. وعدونا بالأمن والسلام والعدل وبحكم القانون، فإذا بحكامنا زعماء ميليشيات ومافيات، وعدلهم تغليبٌ وتسلطٌ فئة على فئة، وسلامهم سلامٌ مصطنعٌ يحترق من خلاله وطننا خدمة لأطماعهم التوسعية. حدثونا عن مكافحة الإرهاب، فإذا بوطننا يتحوّل وبفضل تبعيتهم إلى وكر للإرهاب والإرهابيين.

لقد تساوينا في المأساة التي سببها لنا صراع الآخرين على أرضنا وتقاسم النفوذ والمصالح والمكاسب على حساب سيادتنا وحقنا في الأمن والحرية والكرامة. تساوينا في الذلّ وعلينا اليوم أن نتساوى في المسؤولية كي نصل إلى الحرية والكرامة. علينا أن نكون شركاء في حرب التحرير المتقدمة في قلب وضمير ووجدان كل واحد منا.

معاً نسترد لبنان، كل لبنان، من أجل الشعب كل الشعب. نستردّه اليوم قبل أن يضيع غداً ويحكّم علينا التاريخ بالتخاذل والعار. فلنكن ذكرى حرب التحرير التي ما زالت شعلتها تتوهج في ضمائرنا، عهداً وقسماً ودستور تحرير بها نلتزم وفي سبيلها نستشهد على أمل تأمين مستقبل نريده زاهراً لأبنائنا. نقولها اليوم، بصوت قوي وعال، وكما قالها شعبنا يوم ١٤ آذار سنة ١٩٨٩: لا لقوى التسلط والاحتلال، وألف لا ولا لكل طاغية يوهمه عقله المريض، ولو للحظة، أن بإمكانه أن يخضع لبنان وشعبه، ويقتل في نفوس أحفاد قدموس ومليقار وهنيبعل ويوسف بك كرم وطانيوس شاهين توقّهم للحرية والديموقراطية. الوطنُ ينادينا فلنلبّ النداء ولنستمرّ أسطورة البطولة.

٢٠٠٣/٣/١٤